أسماء
نشرة تستعرض سير وتراجم مضيئة متصلة بتاريخ الشيعة وأهل البيت عليهم السلام
٥

المحرر:
صادق جعفر
رضوى للانتاج الثقافي

ثورة

المختار بن أبي عبيدة الثقفي

٦٦هـ-٦٧هـ

بعد انتهاء حركة التوابين أعلن المختار قيامه وتصدّى لقيادة الشيعة وقاد معهم الموالين وكسب تأييد إبراهيم بن مالك الأشتر الذي فوّض إليه قيادة العساكر، واستطاع أن يسيطر على الكوفة ويحكمها، ونشط في ملاحقة وقتل كل من شرك في دم الحسين عليه السلام حتى قتل منهم ثمانية عشر ألف رجل، وقتل معهم عبيدالله بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وحرملة بن كاهل وغيرهم كثير، وبعد ثمانية عشر شهراً من قيامه حصلت المواجهة بينه وبين جيش الزبيريين القادم من البصرة، وانتهت المواجهة بمقتل المختار رحمه الله ونهاية حركته.

بداية حركة المختار:

كان المختار بن أبي عبيدة الثقفي هو الاختيار الأول للإمام الحسين عليه السلام ولسفيره مسلم بن عقيل ليكون حاضناً لحركة مسلم رضوان الله عليه في الكوفة وسنداً مباشراً له، فنزل مسلم عند المختار الذي أخذ يدعو الناس إليه ولبيعة الإمام الحسين عليه السلام.

وحين أحس مسلماً بأن النظام قد يهجم على دار المختار لاعتقاله خرج سراً منها واتجه لدار هاني بن عروة المرادي، فاعتقلت السلطات هاني بعد أن كشفت مخبأ مسلم لديه، فخرج مسلم محاولاً إنقاذه إلا أنه لم يتمكن من ذلك وتم اعتقاله وإعدامه.

وعندما حدث ذلك كله كان المختار خارج الكوفة يدعو الناس لمبايعة الإمام عليه السلام ولم يعلم بما جرى إلا حين عودته، فاعتقله ابن زياد فور رجوعه ورمى به في السجن، إلى أن خرج منه بوساطة صهره عبدالله بن عمر، فخرج إلى الحجاز وبقي في مكة مع ابن الزبير وقاتل معه جيش يزيد أثناء حصار مكة، كما بقي في الطائف مسقط رأسه لسنة كاملة.

وبعد موت يزيد وفرار ابن زياد من العراق عاد المختار إلى الكوفة، فبدأ في تحشيد الشيعة والكوفيين ضد النظام الأموي، ورفض مبايعة ابن الزبير، ودعا إلى الطلب بدم الإمام الحسين عليه السلام والانتقام من قتلته، ولكنه انتظر حتى انتهت انتفاضة التوابين ليتحرك، فلم يكن يريد أي صدام أو سوء فهم مع الشيعة وقادتهم وخصوصاً مع سليمان بن صرد الخزاعي.

من هو المختار؟

ولادته وصباه:

روى ابن نما، فقال: كان مولده في عام الهجرة، وحضر مع أبيه وقعة قس الناطف وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان يتفلّت للقتال فيمنعه سعد بن مسعود عمه، فنشأ مقداماً شجاعاً لا يتقي شيئا وتعاطى معالي الأمور، وكان ذا عقل وافر وجواب حاضر وخلال مأثورة ونفس بالسخاء موفورة وفطرة تدرك الأشياء بفراستها وهمة تعلو على الفراقد بنفاستها وحدس مصيب وكف في الحروب مجيب، ومارس التجارب فحنّكته ولابس الخطوب فهذبته.

وروى الكشي: عن الأصبغ، قال: رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسح رأسه ويقول: يا كيّس يا كيّس.

وهذه الرواية تدل على وجود علاقة منذ الصغر بين المختار وبين آل البيت عليهم السلام، وأقل ما يمكن أن تشير إليه هو أنه نشأ في صغره بالقرب منهم عليهم السلام.

ارتباطه بمحمد بن الحنفية:

روى ابن نما، فقال: ولّى علي عليه السلام عمّهُ (أي عم المختار) على المدائن عاملاً والمختار معه، فلما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة من قبل معاوية رحل المختار إلى المدينة، وكان يجالس محمد بن الحنفية ويأخذ عنه الأحاديث.

وهذا النص يشير إلى أن المختار في شبابه في

بداية الثلاثينيات من عمره قد صحب وجالس وتتلمذ على يد محمد بن الحنفية أثناء إقامته في المدينة المنورة، أي أنه رحمه الله ظل قريباً ومرتبطاً بأهل البيت في صباه وفي شبابه وأخذ منهم العلوم والأحاديث، وكان ابن الحنفية معروفاً بفضله وعلمه، وأنه أخذ علومه من أبيه أمير المؤمنين ومن أخويه الحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين.

معرفته بالأخبار:

ويبدو بأن أهل البيت عليهم السلام قد نقلوا له بعض الأخبار الخاصة بما سيجري حوله وعلى يديه في المستقبل، واعتبروه لذلك أهلا.

فعن ابن نما، قال: في بعض الأيام لقيه معبد بن خالد الجدلي جديلة قيس، فقال له: يا معبد، إن أهل الكتب ذكروا أنهم يجدون رجلاً من ثقيف يقتل الجبارين وينصر المظلومين ويأخذ بثأر المستضعفين ووصفوا صفته، فلم يذكروا صفة في الرجل إلا وهي فيَّ غير خصلتين، أنه شاب وقد جاوزت الستين، وأنه ردي البصر وأنا أبصر من عقاب.

فقال معبد: أما السن فإن ابن ستين وسبعين عند أهل ذلك الزمان شاب، وأما بصرك فما تدري ما يحدث الله فيه، لعله يكلّ.

قال: عسى.

فلم يزل على ذلك حتى مات معاوية وولي يزيد، ووجّه الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة فأسكنه المختار داره وبايعه، فلما قتل مسلم سُعي بالمختار إلى عبيدالله بن زياد فأحضره، وقال له: يا ابن عبيدة، أنت المبايع لأعدائنا!؟

فشهد له عمرو بن حريث أنه لم يفعل، فقال عبيدالله: لولا شهادة عمرو لقتلتك.

وشتمه وضربه بقضيب في يده فشتر عينه، وحبسه وحبس أيضاً عبدالله بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان في الحبس ميثم التمار.

فطلب عبدالله حديدة يزيل بها شعر بدنه، وقال: لا آمن ابن زياد يقتلني، فأكون قد ألقيت ما علي من الشعر.

فقال المختار: والله لا يقتلك ولا يقتلني، ولا يأتي عليك إلا قليل حتى تلي البصرة.

فقال ميثم للمختار: وأنت تخرج ثائراً بدم الحسين، فتقتل هذا الذي يريد قتلنا وتطأ بقدميك على وجنتيه.

خطابه:

قال ابن نما: لقي (أي المختار) الصقعب بن زهير الأزدي (وذلك في منطقة تدعى واقصة، بعد خروجه من سجن ابن زياد وتوجهه للحجاز)، فقال: يا أبا إسحاق! ما لي أرى عينك على هذه الحال!؟

قال: فعل بي ذلك عبيدالله بن زياد، قتلني الله إن لم أقتله وأُقطّع أعضاءه، ولأقتلن بالحسين عدد الذين قُتلوا بيحيى بن زكريا وهم سبعون ألفا.

ثم قال: والذي أنزل القرآن وبيّن الفرقان وشرع الأديان وكره العصيان، لأقتلن العصاة من أزد عمان ومذحج وهمدان ونهد وخولان وبكر وهزان وثعل ونبهان وعبس وذبيان وقبائل قيس عيلان، غضباً لابن بنت نبي الرحمن.

نعم يا صقعب، وحق السميع العليم العلي العظيم العدل الكريم العزيز الحكيم الرحمن الرحيم، لأعركن عرك الأديم بني كندة وسليم والأشراف من تميم.

ثم سار إلى مكة.

وعنه: قال ابن العرق: رأيت المختار اشتر العين، فسألته فقال: شترها ابن زياد، يا ابن العرق إن الفتنة أرعدت وأبرقت وكأنْ قد أينعت وألقت خطامها وخبطت وشمست، وهي رافعة ذيلها وقائلة ويلها بدجلة وحولها.

وعنه: قال يحيى بن أبي عيسى: دخلت مع حميد بن مسلم الأزدي إلى المختار، فسمعته يقول: أما ورب البحار والنخل والأشجار والمهامة القفار والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار، لأقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار في جموع من الأنصار ليسوا بميل ولا أغمار ولا بعزل

أشرار، حتى إذا أقمت عمود الدين ورأيت صدع المسلمين وأدركت ثأر النبيين، لم يكبر عليَّ زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذ أتى.

أوثق الناس في الكوفة:

وقد اعتبره الإمام الحسين عليه السلام أوثق أهل الكوفة لنزول سفيره مسلم بن عقيل عنده والاحتماء به.

روى ابن أعثم، فقال: دعا (أي الإمام الحسين عليه السلام) مسلم بن عقيل رحمه الله فدفع إليه الكتاب، وقال له: إني مُوجّهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يُحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها.

والثقة هنا كما يظهر مما جرى تعني الوثوق في أمانته على حياة مسلم وفي ولائه لأهل البيت عليهم السلام، وكذلك الوثوق في أهليته وقدرته على الحماية، والمعروف بأن مسلم رحمه الله قتل والمختار كان خارج الكوفة آنئذ يدعو القرى والمناطق الأخرى لمبايعة الإمام عليه السلام وسفيره.

مقام المختار:

قال جعفر بن نما مصنّف الثأر: اعلم أن كثيراً من العلماء لا يحصل لهم التوفيق بفطنةٍ تُوقفهم على معاني الألفاظ ولا رويّةٍ تنقلهم من رقدة الغفلة إلى الاستيقاظ، ولو تدبروا أقوال الأئمة عليهم السلام في مدح المختار لعلموا أنه من السابقين المجاهدين الذين مدحهم الله تعالى جل جلاله في كتابه المبين، ودعاء زين العابدين عليه السلام للمختار دليل واضح وبرهان لائح على أنه عنده من المصطفين الأخيار، ولو كان على غير الطريقة المشكورة ويعلم أنه مخالف له في اعتقاده لما كان يدعو له دعاء لا يستجاب ويقول فيه قولاً لا يستطاب وكان دعاؤه عليه السلام له عبثاً، والإمام مُنزّهٌ عن ذلك، وقد أسلفنا من أقوال الأئمة في مطاوي الكتاب تكرار مدحهم له ونهيهم عن ذمّهِ ما فيه غنية لذوي الأبصار وبغية لذوي الاعتبار، وإنما أعداؤه عملوا له مثالب ليباعدوه من قلوب الشيعة.

ما هي أهداف ومنطلقات حركة المختار؟

يمكن الإدعاء بأن أهداف المختار الأساسية كانت كالتالي:

١. الانتقام من قتلة الإمام الحسين صلوات الله عليه، وملاحقتهم وقتلهم، ليكونوا عبرة شديدة لكل من تسوّل له نفسه يوماً بالتعدي على أوالاستهتار بحياة أحد من أئمة الهدى من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. كسر حالة الخوف والحصار السياسي والعقائدي التي فرضت على شيعة آل البيت عليهم السلام بعد واقعة الطف، وقلب المعادلة التي أراد النظام الدموي الأموي إرسائها بقمع الشيعة وتكسير رؤوسهم وإخضاعهم إلى الأبد، وإكمال ما بادر به التوابون قبله.

٣. إظهار قوة الشيعة وقوة ولائهم لأهل بيت نبيهم عليهم السلام وعدم استكانتهم اذا ما تعدّى أحد من الناس كبر أو صغر على الأئمة من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأن آل بيت رسول الله لن يكونوا مفردين وحدهم بعد اليوم، وأن الشيعة يهتمون شديد الاهتمام لسلامة أئمتهم ولا يرضون بالتعرض لهم بأي شكل من الأشكال.

كيف تطورت حركته الاحتجاجية؟

١. بدأ المختار حركته الاحتجاجية بصورة علنية وظاهرة فهو من البداية أعلن عن أهدافه لعامة الشيعة وأتباع ومحبي أهل البيت عليهم السلام في الكوفة.

٢. وبعد ذلك أنشأ تحالفات قوية مع الموالين وبعض زعماء العرب كإبراهيم بن مالك الأشتر.

٣. ومن ثم تحوّلت حركته الاحتجاجية إلى انتفاضة عسكرية على سلطات الكوفة.

٤. ومن بعدها إلى ثورة تغييرية بدّلت كل الواقع السياسي والاجتماعي للكوفة، وتحوّلت إلى سلطة سياسية تقارع الدولة الأموية في الشام والدولة الزبيرية في الحجاز والبصرة، وانتهت بصورة سريعة بعد أن انتهى المختار من تحقيق جميع أهدافه التي سعى إليها.

أما السلطة السياسية – وإن كان قد حازها لعام ونصف – إلا أنها لم تكن غاية من غايات المختار ولم يشر في خطاباته إلى ذلك ولا مرة، وإنما كانت وسيلة لكسب التأييد والقدرة والهيمنة لتحقيق الأهداف الحقيقية لنهضته والتي اشرنا إليها أعلاه.

هل كان المختار على اتصال بالإمام زين العابدين عليه السلام؟

الذي اعتقده هو أن المختار كان على صلة متينة بالإمام زين العابدين عليه الصلاة والسلام، وإنما بسبب شدة التقية والأوضاع الأمنية من جهة الامام عليه السلام كان الاتصال يتم عبر محمد بن الحنفية، والروايات التي تشير إلى رفض الإمام لهدايا المختار محدودة ولعلها كانت في بداية قيام المختار قبل أن يشتد أمره، وعلى الأغلب أن ذلك الصدود من الإمام جاء من باب التقية، لأن الروايات المعاكسة والتي تشير إلى قبول الإمام عليه السلام لهداياه وبعوثه عديدة وواضحة أكثر ومفصّلة، كما تشير العديد من الروايات إلى أن المختار كان يكتب للإمام عليه السلام، وكان الإمام يرد عليه بكتب جواباً على ما كتبه إليه.

تشييد قبر الإمام الحسين عليه السلام:

عن كتاب دولة المختار لصفاء الخطيب، قال:(بتصرف) أن المختار هو أول من تصدّى لبناء مرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وشيّد له قبّة من الآجر والجص، وهي أول قبّة شيّدت في الإسلام، وهو أول من بنى عليه بناءً أيام إمرته، وكانت على القبر سقيفة ومسجد، واتخذ المختار قرية حول القبر، وعُمّرت المنطقة، وبقيت تلك السقيفة والمسجد طيلة فترة الحكم الأموي ومن بعده إلى عصر هارون العباسي.

رجوع المختار إلى الكوفة:

قال ابن نما: ذكر المدائني عن رجاله: أن المختار لما قدم على عبدالله بن الزبير لم ير عنده ما يريد، فقال:

ذو مخاريـــق وذو مندوحـــة
وركابي حيـث وجهـت ذلْ
لا تبيتـن منـزلاً تكرهـه
وإذا زلّـتْ بـك النعـل فـزلْ

فخرج المختار من مكة متوجهاً إلى الكوفة وسار حتى انتهى إلى نهر الحيرة وهو يوم الجمعة، فنزل واغتسل ولبس ثيابه وتقلد سيفه وركب فرسه، ودخل الكوفة نهاراً لا يمر على مسجد للقبائل ومجالس القوم ومجتمع المحال إلا وقف وسلّم وقال: أبشروا بالفرج فقد جئتكم بما تحبون، وأنا المُسلّطُ على الفاسقين والطالب بدم أهل بيت نبي رب العالمين.

ثم دخل الجامع وصلّى فيه، فرأى الناس ينظرون إليه ويقول بعضهم لبعض: هذا المختار ما قدم إلا لأمر، ونرجو به الفرج.

وخرج من الجامع ونزل داره ويعرف قديماً بسالم بن المسيب، ثم بعث إلى وجوه الشيعة وعرّفهم أنه جاء من محمد بن الحنفية للطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام (وهذا أمر لكم فيه الشفاء وقتل الأعداء).

فقالوا: أنت موضع ذلك وأهله، غير أن الناس قد بايعوا سليمان بن صرد الخزاعي، فهو شيخ الشيعة اليوم، فلا تعجل في أمرك.

فسكت المختار وأقام ينتظر ما يكون من أمر سليمان.

اعتقال المختار:

قال ابن نما: قال عمر بن سعد وشبث بن ربعي لأهل الكوفة: إن المختار أشد عليكم، لأن سليمان إنما خرج يقاتل عدوكم، والمختار إنما يريد أن يثب عليكم، فسيروا إليه وأوثقوه بالحديد وخلّدوه السجن.

فما شعر حتى أحاطوا بداره واستخرجوه وأدخلوه السجن.

الأثر المالي لثورة المختار:

وفّر المختار دعماً مالياً كبيراً وملموساً لحركة الإمام زين العابدين عليه السلام ولأهل بيته ولشيعته في الحجاز، ونشير لذلك هنا بإشارات موجزة وسريعة:

رُوي عن عمر بن علي عليه السلام حيث قال: أن المختار أرسل إلى علي بن الحسين عشرين ألف دينار فقبلها، وبنى منها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت.

وما ذكر عن إرسال المختار لجارية حسنة الخلق والخلق والمقام إلى الإمام عليه السلام وهي أم زيد الشهيد رحمه الله، حيث قال رسوله للإمام عليه السلام: أنا رسول المختار بن أبي عبيدة الثقفي يقرئك السلام، ويقول: وقعت هذه الجارية في ناحيتنا فاشتريتها بستمائة دينار، وهذه ستمائة دينار فاستعن بها على دهرك.

وفي نص آخر أن المختار بعث إليه بهدايا من العراق فرفضها علانية وأشرنا إلى أن ذلك كان بسبب التقيّة، ومع ذلك فإن تلك الهدايا تم تحويلها إلى ممثل الإمام عليه السلام أي محمد بن الحنفية ليتصرف فيها بما هو مفترض عليه.

وحين وجه المختار أبا عبدالله الجدلي وغيره من قادة الشيعة وفرسانهم لتحرير ابن الحنفية والهاشميين من حبس ابن الزبير بعث معهم لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم.

وحين تحرر بن الحنفية ومن معه من الحبس وخرجوا إلى شعب علي اجتمع مع محمد في الشعب أربعة آلاف رجل، فقسّم بينهم المال، وعزّوا وامتنعوا.

وحين حمل المختار رأس ابن زياد ورؤوس القُوّاد إلى مكة مع عبدالرحمن بن أبي عمير الثقفي، ومعه آخرين من الشخصيات الشيعية حمل معهم ثلاثون ألف دينار، إلى محمد بن الحنفية.

رجوع فلول التوابين، وخروج المختار من الحبس:

وعنه:(ابن نما) لما قدم أصحاب سليمان بن صرد من الشام (أي بعد معركة عين الوردة) كتب إليهم المختار من الحبس: أما بعد، فإن الله أعظم لكم الأجر وحطّ عنكم الوزر بمفارقة القاسطين وجهاد المحلّين، إنكم لن تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ولم تخطوا خطوة إلا رفع الله لكم بها درجة وكتب لكم حسنة، فأبشروا فإني لو خرجت إليكم جردت فيما بين المشرق والمغرب من عدوكم بالسيف بإذن الله فجعلتهم ركاماً وقتلتهم فذّاً وتوأماً، فرحّب الله لمن قارب واهتدى ولا يُبعد الله إلا من عصى وأبى، والسلام يا أهل الهدى.

فلما جاء كتابه وقف عليه جماعة من رؤساء القبائل، وأعادوا الجواب: قرأنا كتابك ونحن حيث يسرُّك، فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك من الحبس فعلنا.

فأخبره الرسول، فسُرَّ باجتماع الشيعة له، وقال: لا تفعلوا هذا، فإني أخرج في أيامي هذه.

وكان المختار قد بعث إلى عبدالله بن عمر بن الخطاب: أما بعد، فإني حُبستُ مظلوماً وظنَّ بي الولاة ظنوناً كاذبة، فاكتب فيَّ رحمك الله إلى هذين الظالمين وهما عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد كتاباً، عسى الله أن يُخلّصني من أيديهما بلطفك ومنّك، والسلام عليك.

فكتب إليهما ابن عمر: أما بعد، فقد علمتما الذي بيني وبين المختار من الصهر، والذي بيني وبينكما من الودْ، فأقسمت عليكما لمّا خليّتما سبيله حين تنظران في كتابي هذا، والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته.

مبايعة المختار:

ولما استقر المختار في داره، اختلفت الشيعة إليه واجتمعت عليه واتفقوا على الرضا به، وكان قد بويع له وهو في السجن، ولم يزل يكثرون وأمرهم يقوى ويشتد، حتى عزل عبدالله بن الزبير الواليين من قبله وهما عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة المذكورين، وبعث عبدالله بن مطيع والياً على الكوفة، والحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة على البصرة، فدخل ابن مطيع إليها، وبعث المختار إلى أصحابه فجمعهم في الدور حوله، وأراد أن يثب على أهل الكوفة.

وفود الشيعة لمحمد بن الحنفية عليه السلام:

روى الطبري، فقال: جاء رجل من أصحابه من شبام وكان عظيم الشرف يقال له عبدالرحمن بن شريح، فلقى سعيد بن منقذ الثوري، وسعر بن أبى سعر الحنفي، والأسود بن جراد الكندي، وقدامة بن مالك الجشمي، فاجتمعوا في منزل سعر الحنفي، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن المختار يريد أن يخرج بنا وقد بايعناه، ولا ندري أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا؟ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به وبما دعانا إليه، فإن رخّص لنا في اتّباعه اتّبعناه وإن نهانا عنه اجتنبناه، فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا.

فقالوا له: أرشدك الله فقد أصبت ووفقت، أخرج بنا إذا شئت.

فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيامهم، فخرجوا فلحقوا بابن الحنفية، وكان أمامهم عبدالرحمن بن شريح، فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فخبّروه عن حالهم وما هم عليه.

(قال أبو مخنف) فحدثني خليفة بن ورقاء، عن الأسود بن جراد الكندي، قال: قلنا لابن الحنفية: إن لنا إليك حاجة.

قال: فسر هي أم علانية؟

(قال) قلنا: لا بل سر.

قال: فرويداً إذاً.

(قال) فمكث قليلاً، ثم تنحّى جانباً، فدعانا فقمنا إليه، فبدأ عبدالرحمن بن شريح فتكلّم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنكم

أهل بيت خصّكم الله بالفضيلة وشرّفكم بالنبّوة وعظّم حقكم على هذه الأمة، فلا يجهل حقّكم إلا مغبون الرأي مخسوس النصيب، قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه، عظمت مصيبة ما قد خصّكم بها، فقد عمّ بها المسلمون، وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيدة يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء، فبايعناه على ذلك، ثم إنّا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه وندبنا له، فإن أمرتنا باتّباعه اتّبعناه وإن نهيتنا عنه اجتنبناه.

ثم تكلمنا واحداً واحداً بنحو مما تكلم به صاحبنا وهو يسمع، حتى إذا فرغنا حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي ﷺ، ثم قال: أما بعد، فأمّا ما ذكرتم مما خصصنا الله به من فضل فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلله الحمد، وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين فإن ذلك كان في الذكر الحكيم، وهي ملحمة كُتبت عليه وكرامة أهداها الله له، رفع بها كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين، وكان أمر الله مفعولاً وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وقال جعفر بن نما: فقد رويت عن والدي رحمة الله عليه، أنه قال لهم: قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين.

فلما دخل ودخلوا عليه، أخبر خبرهم الذي جاءوا لأجله، قال: يا عمْ، لو أن عبداً زنجيّاً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد ولّيتك هذا الأمر فاصنع ما شئت.

فخرجوا وقد سمعوا كلامه، وهم يقولون: أذن لنا زين العابدين عليه السلام ومحمد بن الحنفية.

رجوع الوفد من المدينة المنورة:

وكان المختار علم بخروجهم إلى محمد بن الحنفية، وكان يريد النهوض بجماعة الشيعة قبل قدومهم، فلما تهيّأ ذلك له وكان يقول: إن نفيراً منكم تحيّروا وارتابوا، فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا، وإن هم كبُوا وهابوا واعترضوا وانجابوا فقد خسروا وخابوا.

فدخل القادمون من عند محمد بن الحنفية، فقال: ما وراءكم!؟ فقد فتنتم وارتبتم!؟

فقالوا: قد أُمرنا بنصرتك.

فقال: أنا أبو إسحاق، اجمعوا إليَّ الشيعة.

فجُمع من كان قريباً، فقال: يا معشر الشيعة، إن نفراً أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به، فخرجوا إلى إمام الهدى والنجيب المرتضى وابن المصطفى المجتبى – يعني زين العابدين عليه السلام – فعرّفهم أني ظهيره ورسوله، وأمركم باتباعي وطاعتي.

وقال كلاماً يُرغّبهم إلى الطاعة والاستنفار معه، وأن يعلم الحاضر الغائب.

إنقاذ الهاشميين من حبس ابن الزبير:

لما استولى المختار على الكوفة صارت الشيعة تدعو لابن الحنفية، خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس إلى الرضا به، فألحّ عليه وعلى أصحابه في البيعة له، فحبسهم بزمزم وتوعّدهم بالقتل والإحراق وإعطاء الله عهداً إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعّدهم به، وضرب لهم في ذلك أجلا.

فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار يعلمه حالهم، فكتب إلى المختار بذلك وطلب منه النجدة، فوجّه المختار أبا عبدالله الجدلي في سبعين راكبا من أهل القوة، ووجّه ظبيان من عمارة أخا بني تميم ومعه أربعمائة، وبعث معه لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم، وسيّر أبا المعمر في مائة، وهانئ بن قيس في مائة، وعمير بن طارق في أربعين، ويونس بن عمران في أربعين.

فوصل أبو عبدالله الجدلي إلى ذات عرق، فأقام بها حتى أتاه عمير ويونس في ثمانين راكباً فبلغوا مائة وخمسين رجلاً، فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون (يا

ما هو الأثر الاستراتيجي لانتفاضة التوابين، ولثورة المختار؟

كلتا الحركتين أحرزتا ثقلاً جماهيرياً وسياسياً وعسكرياً، وتحولتا إلى انتفاضتين عسكريتين في وجه النظام الأموي، بل إن حركة المختار تحولت إلى انتفاضة عسكرية في وجه كلا النظامين الزبيري والأموي واستطاعت هزيمتهما في وقت ما وإحراز هيمنة وسلطة سياسية وظّفتها في تحقيق أهدافها الرئيسية في الانتقام من قتلة الإمام الحسين صلوات الله عليه.

عبّأت الحركتان روح المقاومة والجهاد وتحمّل المسئولية الذاتية في نفوس الشيعة بالذات والكوفيين خاصة والمسلمين بصورة عامة (بنسب متفاوتة بين الشرائح الثلاث)، وكسرتا حاجز الهلع والتردد والخشية والخوف من النظام الأموي الدموي، وحوّلتا حالة الحزن والأسى والقهر الذي شاع في نفوس الكوفيين والشيعة إلى حالة من السخط والتمرد والثورة والسعي إلى الانتقام وتصحيح الأوضاع السياسية السائدة آنئذ.

وأعطت الحركتان درساً بليغاً لكل من يعادي أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أن التعرض لآل النبي يخلق الدوافع والمبررات حتى للفئات التي كانت كامنة وتمارس التقية أو لا ترى داعياً للقيام في وجه الفساد الديني والظلم السياسي للقيام والثورة في وجه من يتعرض لهم عليهم السلام، فالشيعة بعد أن كانوا فريسة لابن زياد وللأمويين على مدى سنوات أصبحوا في موقع المهاجم والثائر وشاهر السيف بوجه تلك الإمبراطورية الفاسدة وذلك بسبب دماء الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام، وحتى حينما تعرض ابن الزبير لشخصيات بني هاشم فيما بعد، تحرك الشيعة من العراق وزحفوا إلى مكة المكرمة بأسلحتهم واستنقذوا الهاشميين من حبسه ولم يستطع مجابهتهم أو الرد عليهم بالرغم من إنه كان في قلب معسكره ومركز ثقله وحكمه.

لثارات الحسين)، حتى انتهوا إلى زمزم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم وكان قد بقي من الأجل يومان، فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية، فقالوا: خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير.

فقال لهم: إني لا استحل القتال في الحرم.

فقال ابن الزبير: واعجباً لهذه الخشبيّة! ينعون الحسين كأني أنا قتلته! والله لو قدرت على قتلته لقتلتهم.

وإنما قيل لهم خشبيّة لأنهم دخلوا مكة وبأيديهم الخشبة، كراهة إشهار السيوف في الحرم، وقيل لأنهم أخذوا الحطب الذي أعده ابن الزبير.

وقال ابن الزبير: أتحسبون أني أُخلّي سبيلهم دون أن يبايع ويبايعوا!؟

فقال الجدلي: أي ورب الركن والمقام، لتخلين سبيله أو لنجالدنك بأسيافنا جلاداً يرتاب منه المبطلون.

فكفَّ ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة.

ثم قدم باقي الجند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد الحرام، فكبّروا وقالوا: يا لثارات الحسين.

فخافهم ابن الزبير، وخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شعب علي وهم يسبّون ابن الزبير ويستأذنون محمداً فيه، فأبى عليهم، فاجتمع مع محمد في الشعب أربعة آلاف رجل، فقسّم بينهم المال، وعزّوا وامتنعوا.

بعث رأس ابن زياد للإمام عليه السلام:

وعنه:[ابن نما] حمل المختار رأس ابن زياد ورؤوس القُوّاد إلى مكة مع عبدالرحمن بن أبي عمير الثقفي، وعبدالرحمن بن شدّاد الجشمي، وأنس بن مالك الأشعري، وقيل السائب بن مالك، ومعهما ثلاثون ألف دينار، إلى محمد بن الحنفية، وكتب معهم: أني بعثت أنصاركم وشيعتكم إلى عدوّكم، فخرجوا محتسبين أسفين فقتلوهم، فالحمد لله الذي أدرك لكم الثأر وأهلكهم في كل فج عميق وغرّقهم في كل بحر، وشفى الله صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ.

فقدموا بالكتاب والرؤوس عليه، فلما رآها خرّ ساجداً ودعا للمختار، وقال: جزاه الله خير الجزاء، فقد أدرك لنا ثأرنا ووجب حقّه على كل من ولده عبدالمطلب بن هاشم، اللهم واحفظ لإبراهيم الأشتر وانصره على الأعداء ووفقه لما تحب وترضى واغفر له في الآخرة والأولى.

فبعث رأس عبيدالله إلى علي بن الحسين عليه السلام، فأُدخل عليه وهو يتغدّى فسجد شكراً لله تعالى، وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من عدوي، وجزى الله المختار خيراً، أُدخلت على عبيدالله بن زياد وهو يتغدّى ورأس أبي بين يديه، فقلت (اللهم لا تمتني حتى تريني رأس ابن زياد).

وقسّم محمد المال في أهله وشيعته بمكة والمدينة على أولاد المهاجرين والأنصار.

وروى اليعقوبي: وجّه (أي المختار) برأس عبيدالله بن زياد إلى علي بن الحسين إلى المدينة مع رجل من قومه، وقال له: قف بباب علي بن الحسين، فإذا رأيت أبوابه قد فتحت و دخل الناس فذاك الوقت الذي يُوضع فيه طعامه، فأدخل إليه.

فجاء الرسول إلى باب علي بن الحسين، فلما فتحت أبوابه ودخل الناس للطعام، نادى بأعلى صوته: يا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومهبط الملائكة ومنزل الوحي، أنا رسول المختار بن أبي عبيدة، معي رأس عبيدالله بن زياد.

فلم تبق في شيء من دور بني هاشم امرأة إلا صرخت، ودخل الرسول فأخرج الرأس، فلما رآه علي بن الحسين، قال: أبعده الله إلى النار.

وروى الكشّي: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لا تسبّوا المختار، فإنه قتل قتلتنا وطلب بثأرنا وزوّج أراملنا وقسّم فينا المال على العسرة.

الخاتمة:

والخلاصة أن المختار الثقفي رحمه الله كان من خيرة أتباع أئمة آل البيت عليهم السلام ومن ثقاتهم المقدمين، وأنه من دون كل الناس تشرف بأخذ ثأر الامام الحسين الشهيد عليه السلام، وأن مدحه جرى على لسان العديد من الأئمة عليهم السلام وأنه لولاه لم يدرك الهاشميون ثأرهم من أعدائهم في ذاك الزمان.

المصادر

١- ابن أعثم، أحمد بن محمد بن علي. **الفتوح**، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، (تحقيق: شيري، علي)، دار الأضواء، بيروت.

٢- ابن نما الحلي، الشيخ جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله. **ذوب النضار في شرح الثار**، الطبعة الثانية، (١٤٣٨هـ)، (تحقيق: كريم، فارس حسون)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.

٣- الخطيب، صفاء. **دولة المختار الثقفي: رؤية جديدة**، الطبعة الرابعة (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٤- الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي. **اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي**، الطبعة الأولى، (١٤٢٧هـ)، (تحقيق: الإصفهاني، جواد القيّومي)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.

٥- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **تاريخ الأمم والملوك**، منشورات بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٦- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر. **تاريخ اليعقوبي**، الطبعة الأولى، (١٩٩٩م/ ١٤١٩هـ)، (تحقيق: المنصور، خليل)، دار الكتب العلمية، بيروت.

أسماء

تصدر عن:
رضوى للإنتاج الثقافي

للمراسلات:
asmaaletterhead@gmail.com

توضيح:
محتوى **أسماء** متاح للراغبين في الاقتباس، مع ملاحظة نسب الاقتباسات إلى النشرة.

رضوى
للانتاج الثقافي